دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	إفريقيا مشهد الإذاعة يقول كل شيء
المصدر:	مجلة رسالة اليونسكو
الناشر:	مركز مطبوعات اليونسكو
المؤلف الرئيسي:	نجانجي، إيوم
المجلد/العدد:	س54
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	2001
الشهر:	أبريل
الصفحات:	44 - 46
رقم MD:	747702
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	وسائل الإتصالات، وسائل الإعلام، إفريقيا، الإذاعة والتلفزيون، الحريات الصحفية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/747702

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

إفريقيا: مشهد الإذاعة يقول كل شيء

الإذاعة، وهى أوسع الوسائل انتشارا فى إفريقيا، يمكن أن تزدهر فقط على أرض الديمقراطية، الأمر الذى يساعد على تفسير لماذا تزدهر المحطات الخاصة فى الغرب وليس فى وسط القارة

إيوم نجانجى Eyoum Ngangué

صحفى كاميرونى

فى العمل من أجل راديو نديكى لوكا، فى جمهورية افريقيا الوسطى

يوجد لدى تشاد ٦ محطات إذاعة خاصة فقط، بينما تفخر مالى بمائة محطة.. ما الذى يفسر هذا الفرق الهائل؟. إن البلدين متشابهان من عدة نواح. فحجمهما متساو (أكثر قليلا من ١٢٠٠٠٠٠ كيلو متر مربع)، وكليهما ليس لديه منفذ على البحر. وكليهما كان مستعمرة فرنسية، وعاشت سنوات طويلة فى ظل ديكتاتورية عسكرية بعد الحصول على الاستقلال فى ١٩٦٠. وفى العام الماضى، كان ترتيبهما ضمن أفقر البلدان فى العالم بدخل للفرد قدره ٢٦١ دولارا بالنسبة لمالى، و٢٤٠ دولارا لتشاد.

«إن المناخ السياسى غير المواتى والعوامل الاجتماعية الثقافية» تبطئ من تطور التعددية الإذاعية، كما يقول جيلبرت ماوو ندودچى، مدير FM ليبرتى، ثانى محطة إذاعة مستقلة فى تشاد، بدأت فى العام الماضى. «إن الناس الذين يحكمون هنا لم يستوعبوا بعد بشكل كامل قيم العمل الجماعى، والحرية، والتسامح والديمقراطية. وهذا يشكل عائقا أمام روح المبادرة».

إن سياق البلد السياسى ينعكس على موجات إذاعاتها. إن مالى التى أجرت انتخابات حرة فى ١٩٩٢، وأنشأت مؤسسات ديمقراطية تعمل بشكل جيد لحد ما، قد بدأت أول محطة إذاعة خاصة بها فى مارس ١٩٩١. وقد مهدت محطة راديو «باماكان» الطريق لمحطات عديدة أخرى، منها راديو ليبرتيه، وراديو كاييرا وكليدو اف ام.

فى أوائل ١٩٩٣، أعدت تشاد لمحاكاة تهكمية «لمؤتمر قومى» مقصود منه بشكل عام مشاورات خاصة بالسياسة الموسعة. ومع ذلك فقد كان تأثيره هو فقط تدعيم سلطة الرئيس إدريس ديبى، الذى تولى الحكم من خلال القوة المسلحة. وكنتيجة لذلك، وجدت حتى المحطات الدينية أنه من الصعب عمل أى اختراق. وقد بدأت أول محطة كاثوليكية هى «صوت الفلاح» الإذاعة فى ١٩٩٦. والمحطة العلمانية «دچا اف ام» تبعتها بعد ثلاث سنوات فقط. ثم أتت بعد ذلك محطات أخرى تشمل اف ام ليبرتيه، راديو براكوس، والمحطة الجديدة جدا دوجى لوكار اف ام (نجمة الصباح). والخطط من أجل محطة إذاعة أسبوعية خاصة «لوبزرفاتير» على وشك القيام بالبث قريبا.

مصادر المعدات «التى تحتاج للإصلاح»

يرمز مثال تشاد إلى إفريقيا الوسطى ككل، والتى كانت تبدو وكأنها تسبق جيرانها الغربيين عندما بدأت «إفريقيا رقم ١»، كأول محطة إذاعة بالفرنسية لكل إفريقيا، وكانت الإذاعة الوحيدة فى ذلك الوقت التى بدأت البث فى الجابون فى عام ١٩٨٠. ولكن منذ بدأت الدول الإفريقية التحول للديمقراطية فى أوائل التسعينيات، شهد غرب إفريقيا انفجارا فى محطات الإذاعة المستقلة، فقد ارتفع عددها إلى أكثر من ٤٠٠ محطة، إلا أن الاستثمار الخاص فى الإذاعة فى إفريقيا الوسطى لايزال محدودا. وقد تسبب عدم الاستقرار المزمن فى الإقليم إلى إرجاع المنطقة عشر سنوات للوراء، حيث إن أغلب البلدان هناك، بما فيها جمهورية وسط إفريقيا وجمهورية الكونغو محاصرة بالصراعات المسلحة المضطربة، إن لم تكن بالحرب الكاملة، كما فى رواندا وبوروندى وجمهورية الكونغو الديمقراطية (DRC).

فى الجزء الشرقى من جمهورية الكونغو الديمقراطية على سبيل المثال، صادر المتمردون محطات الإذاعة الخاصة القليلة التى كانت موجودة قبل حرب أغسطس ١٩٩٨. فقد أخذ جهاز إرسال «راديو مونجانو» إلى أوغندا فى أكتوبر ٢٠٠٠ بحجة أنه يحتاج للإصلاح، ولم يتم إعادته حتى تاريخه. وعندما لاتستطيع جماعات المتمردين السيطرة على مضمون البرنامج فهى تخرب المعدات. وأساليب الحكومة لاتقل عنفا. فى سبتمبر ٢٠٠٠، تم تأميم راديو تليفزيون كين مالیبو (RTKM) كلية، وأغلقت ثلاث شبكات تليفزيون خاصة. ولم يسمح إلا لمحطات الإذاعة الدينية فقط بالبث، طالما ابتعدت عن السياسة.

وفى البلدان التى تعيش فى سلام، مثل غينيا الاستوائية والجابون والكاميرون، فإن

القيود على التعددية غالبا ماتكون مؤسسية. منذ عام ١٩٩٠، عندما صدر قانون حرية الإذاعة، استخدمت حكومة الكاميرون كل أنواع الحيل لتمنع ظهور الإذاعات الخاصة، باستثناء المحطات الريفية والمحلية التى أنشأتها اليونسكو أو الوكالة الفرانكوفونية الحكومية الدولية.

فعلى سبيل المثال، راديو فرانس انترناشيونال (RFI)، الذى يذيع لكل إفريقيا، لم يكن من الممكن استقباله على موجة FM فى ياوندى حتى شهر فبراير من هذا العام. «لقد كنا على اتصال بالكاميرون منذ ١٩٩٢، كجزء من اتفاق التعاون ليدخل RFI فى الهيكل الفنى لمحطات الإذاعة الوطنية»، كما يقول هيوج سالور، مدير RFI للشئون الدولية. ولكننا لم نستطع أن نحسم الصفقة حتى صدور مرسوم ٣ أبريل ٢٠٠٠ الذى أفاد، لافقط راديو فرانس انترناسيونال، بل أيضا «أفريكا ١»، والـ BBC، ومحطات إذاعة محلية خاصة أخرى.

وقد اقتضى الأمر عشر سنوات، حتى يتم توقيع المرسوم، ولكن العوائق تستمر. لقد زاد المسئولون من التعقيدات الإدارية، وفرضوا فترة قصيرة جدا لتقديم الطلبات (أربعة أشهر) وطلبوا رسوما باهظة لرخص التشغيل - ١٥٤٠٠ دولار فى بلد يتقاضى فيه الموظف المدنى مرتبا شهريا يصل متوسطه إلى ١٢٠ دولارا. وهكذا تم إلغاء كل المشاريع المقترحة، واضطرت إحدى المحطات التى كانت تعمل حتى ذلك الوقت على أساس تجريبى هى «راديو سوليى» لوقف إذاعتها فى يونيو ٢٠٠٠.

فن التدمير البيروقراطى

لأن الإذاعة وسيط حر تصل لعدد أكبر من السكان عما تصل إليه المطبوعات، الأمر الذى يرجع جزئيا إلى الإذاعة باللهجات المحلية، وجزئيا بسبب ارتفاع معدل الأمية، فإنها تثير عدم ثقة وعداء القادة السياسيين. ومن هنا كان اتجاههم للحفاظ على احتكار حكومى على الإذاعة ليهزم الوسائط المستقلة، التى كثيرا ماتكون خبيثة وقريبة من المعارضة. والموجات ذات أهمية استراتيجية للسياسيين الذين يتجشمون مشقة كبيرة للسيطرة عليها بأى وسيلة. فعلى سبيل المثال، فى ٢٢ فبراير ١٩٩٤، دمرت دبابات جيش الجابون مرافق «راديو ليبرتيه». وادعت الحكومة فيما بعد أن السبب كان استخدام المعارضة للمحطة كوسيلة للدعاية، قائلين عن «راديو ليبرتيه؟ إنه إذاعة الشيطان.. وقد دمر الجيش وإدارة الأمن مرافقه. وقد عدنا إلى اللعبة العادية للديمقراطية منذ كتب رئيس الجابون، عمر بونجو، فى كتابه الذى نشر أخيرا: «أبيض مثل الزنجى» Blanc comme Negre.

وتوضح تعليقات بونجو كيف أصبحت الإذاعة الحرة فى وسط إفريقيا كالشيطان. إن شبح «راديو وتليفزيون دى ميل كولين»RTLM فى رواندا، الذى لعب دورا أساسيا فى تعبئة القتلة الذين ارتكبوا مذبحة ١٩٩٤، مازال يلازم المنطقة. واليوم يشير القادة السياسيون الذين يرفضون قبول حرية الإذاعة إلى ذلك كمثال، وينسون أن RTLM كانت فى البداية قريبة من حكومة كيجالى ليريحوا أنفسهم.

بمجرد أن تبتعد محطة إذاعة ما عن الخط الرسمى تصبح محل شك فى أنها تحرض على التمرد أو على الكراهية بين القبائل

والنتيجة «أنه بمجرد أن تبتعد محطة إذاعة ما عن الخط الرسمى تصبح محل شك فى أنها تحرض على التمرد أو على الكراهية بين القبائل. وقد اتخذت غينيا الاستوائية خطوات صارمة لتجنب تلك المخاطرة: فلم تسمح لأى محطة إذاعة خاصة بأن تعمل على أرضها.

وإلى جانب العوامل السياسية، فإن ضعف المجتمع المدنى قد ساعد بوضوح على إبطاء نمو إذاعة وسط إفريقيا المستقلة. فالمنظمات غير الحكومية المحلية، ومنظمات القاعدة الشعبية، ليست مشتركة بدرجة كافية فى الحوار السياسى الوطنى. ويؤدى هذا إلى لامبالاة من جانب المانحين، الذين من المحتمل أن يساعدوا فى إنشاء محطات إذاعة، خاصة بتدريب عاملين وتوفير معدات. «لقد حصلت على تردد فى العام الماضى، ولكن ليست لدى مقدرة على شراء المعدات»، كما يقول بيجوتو أولڤار، مدير «نجامينا بيهدو»، أشهر جريدة فى تشاد، والتى سوف تنتشر على موجات الأثير.

والمتاعب الاقتصادية أيضا تمنع الإذاعات الخاصة من اكتساب أرض فى إفريقيا الوسطى. فالشبكات العامة تتلقى نصيب الأسد من الإعلان، وهو مصدر الدخل الوحيد للراديو المستقل الذى لايستطيع الاعتماد على رسوم المستخدمين. ولتجنب المشاكل، يتجنب أصحاب الأعمال الإعلان فى محطات تشتهر بعدائها للحكومة. ولنأخذ حالة «راديو سوليى» فى الجابون، والذى انبعث من رماد «راديو ليبرتيه»، وأوقف خمس مرات فى أربع سنوات. وخلال مؤتمر عقد فى ياوندى فى عام ١٩٩٩ حول تعددية وسائل الإعلام، شرح ماكاجا ڤيرچيناس، ممثل إحدى المحطات، عدم رغبة الشركات فى الاستثمار على موجاتها، قائلا: «لم نكن مذعنين بما يكفى للحكومة المركزية، التى لها روابط قوية جدا مع عالم الأعمال».

غارات إلكترونية على احتكارات الدولة

ولكن هناك أسبابا للتفاؤل حول مستقبل الراديو فى إفريقيا. فالتكنولوجيات الجديدة تجعل المعدات أخف وأصغر حجما، وأقل تكلفة. والوصول المباشر للمعلومات على الإنترنت على الأرجح سيدفع الموظفين إلى التخفيف من قبضتهم. ومن المحتمل أن

فى إفريقيا الوسطى، الراديو المستقل يتخلف ١٠ سنوات وراء الجزء الغربى من القارة

كوت ديڤوار وتوجو تسيران فى طريقهما الخاص

على العكس من البلدان المجاورة فى غرب إفريقيا، اتبعت كوت ديڤوار وتوجو نفس المسار الذى اتبعته بلدان إفريقيا الوسطى: انتقال وعر للديمقراطية، ومناخ اجتماعى سام، وانعدام الإرادة السياسية لتحرير الإذاعة، أو تطبيق القوانين القائمة.

فى عام ١٩٩٣، خصصت كوت ديڤوار ترددات اف ام لخمس محطات إذاعة فقط، أربع منها أجنبية (RFI ، BBC، إفريقيا ١، ونوستالچى) وواحدة كانت مرتبطة بالحكومة. ومنذ ذلك الحين، لم يسمح إلا لمحطات إذاعة الأسقفية بالعمل. ولم تعط تراخيص إلا منذ ١٩٩٨ فقط (٥٢ طبقا لآخر إحصاء) وفى ظل شروط صارمة جدا.

ولم يكن مسموحا لها بالإذاعة إلا فى دائرة نصف قطرها ١٠ كيلو مترات، ولاتستطيع أن تذيع برامج سياسية. والإعلان يأتى فقط من شركات محلية. وبمثل هذه القوانين، لم يكن من المستغرب أن يكون نمو الإذاعة الخاصة نموا بطيئا للغاية.

وفى توجو، تم التصديق على قانون تحرير الإذاعة فى ٣٠ نوفمبر ١٩٩٩، ولكن الهيئة التنظيمية لم تمنح أى رخصة نهائية للعمل. وهذا يعنى أن محطات الإذاعة الخاصة الموجودة حاليا تذيع بشكل غير قانونى. والمبادرات مثل كانال اف ام التى أسست فى أغسطس ١٩٩٧، ونانا اف ام، التى بدأت فى سوق لومى الكبير فى أغسطس ١٩٩٩، تحاول أن تتطور بدون أن تجرؤ على الدخول.

والغموض القانونى يسمح لحكومة توجو أن تفخر بما يسمى بتعددية الإذاعة، بينما تحتفظ بقبضة قوية على المحطات الخاصة، الأمر الذى يثير فزع منظمة توجو للراديو والتليفزيون المستقل، التى تقود حملة من أجل توضيح وضع محطات الإذاعة الخاصة فى لومى. ■

يحدث تغييرا فى العقلية مع التدفق البطىء - لكن المنتظم - لشبكات الإذاعة الأجنبية مثل RFI و BBC، وصوت أمريكا، والذى قد يؤدى فى النهاية إلى التخفيف من الجمود السياسى.

ومحطات الإذاعة المحلية التى أنشأتها منظمات دولية وغير حكومية، مثل راديو جمهورية إفريقيا الوسطى «نديكى لوكا» (وريث راديو الأمم المتحدة فى بانجوى)، أو راديو بوروندى RSF بونيسا اف ام (الذى أسسه قدامى العاملين المحنكين من راديو أوموزيرو، وهى مبادرة من «الجمعية من أجل العمل الإنسانى») ستساعد أيضا فى العملية. والجماعات المنتشرة فى كل أنحاء العالم، مثل معهد بانوس، وجماعة تبادل الأبحاث والتكنولوچيا Gret، ومؤسسة ايروندیل و«البحث عن أرض مشتركة»، التى ساهمت فى تعددية الإذاعات فى غرب إفريقيا، قد بدأت تركز على إفريقيا الوسطى.

إن الخريطة السمعية البصرية تتغير فى أغلب البلدان. وأحد الأمثلة على ذلك، الكاميرون، حيث كانت شبكة التليفزيون الخاصة تى ڤى ماكس، التى أنشئت فى أغسطس ٢٠٠٠، قد أصبح عمرها شهرين فقط عندما ضبطت الشبكة العامة برامجها لتتنافس معها! لماذا لاتفعل محطات الإذاعة الخاصة والمنظمات غير الحكومية التى تعمل على تعزيز الإذاعة المستقلة، فهناك أمل أن تستطيع إفريقيا الوسطى أن تلحق بجاراتها فى الغرب بسرعة.

وكان مهرجان ٢٠٠١ للترددات الحرة، مبادرة من محطة كينشاسا ريڤيى اف ام (من مارس ١٩ إلى ٢٢) خطوة فى الاتجاه الصحيح. لقد جمعت معا عدة عاملين من إفريقيا الوسطى، وتدارست بالفعل عمل الأساس لمنظمة إقليمية تدافع عن حقوق الإذاعة الخاصة. ■

مناقشة حول رسالة الراديو، على الهواء من راديو نديكى لوكا فى الاستوديو الرئيسى

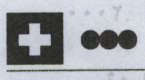

- Intergovermental Francophone Agency, 13, quai André - Citroën
75015 Paris, France
Web: http://agence. francophonie.org
- Panos Institute
9 White Lion St. London N1 9PD, UK
Web: http://www.panos.org.uk
- GRET - Research and Technology Exchange Group
211-213, rue La Fayette, 75010 Paris, France
Web: http://www.gret.org
- Hirondelle Foundation
3, rue Traversére, 1018 Lausanne, Switzerland
Web: http://www.hirondelle.org/
- Search for Common Ground
1601 Connecticut Ave.N.W. Suite 200
Washington, DC 20009, USA
Web: http://www.sfcg.org